هُتاف "يلعن روحك يا حافظ"



هو الهتاف الأصدق .. الأقوى .. الأروع بين هتافات الإنتفاضة السوريّة السلميّة المُستمرّة!



إعداد: فينيق ترجمة

https://ateismoespanarab.blogspot.com

12.01.2022

قصة (يلعن روحك يا حافظ) . . بقلم إياس غالب الرشيد

في كل الأزمنة التي قامت فيها ثورات على الطواغيت؛ ثمة مقولات تعد هي الحامل الموضوعي لهذه الوثبة؛ لتكون فاصلا بين مرحلتين متناقضتين في العمق، وفي الربيع العربي شاعت مقولة سرعان ما سرت كالنار في الهشيم، وهي:

(الشعب يريد إسقاط النظام)، ودارت في فلك هذه المقولة الأساسية مجموعة من الشعارات؛ التي تؤيدها، وتفسرها بطرق مختلفة لمن استعصى عليه فهم معنى الإسقاط ،وتدك بنيان الأنظمة بطرق مختلفة، سواء عبر الهتاف بمقولات مقتضبة مركزة تكتب على لافتات، أو عبر أغانٍ ينشدها المتظاهرون، أو من خلال لوحات تشكيلة، أو عبر إطلاق نكتة، تنال من هيبة النظام يعبر عنها بالصورة السابقة جميعا.

والثورة السورية شهدت كل هذه الأشياء، وبرزت فيها ظواهر ملفتة، تميزت فيها مدن عن غيرها، فالأغاني الثورية ابتدأت من حماة؛ بشكلها الفني المتكامل، وبرزت ظاهرة (القاشوش)، فصرنا نسمع (بقاشوش) حمص، و(قاشوش) درعا، و(قاشوش) إدلب، وقاشوش دير الزور ...إلخ.

أما لوحات (الكاريكتور) فقد ظهرت في إدلب، وتحديدا في كفر نبل، أما النكتة والسخرية من النظام بطريقة لاذعة؛ فقد تميزت بها حمص بعدة أشكال، منها:

تصوير مشاهد قصيرة تُظهر تنظيم القاعدة في حمص ،والمقاتلون يحملون أنواعا من الخضار، وتأسيس صفحة الثورة الصينية ضد طاغية الصين والنطق الرسمي (سونغا)

ولكن، ظهر شعار بعد فترة وجيزة من انطلاق الثورة، هذا الشعار طبقت شهرته الآفاق، وسرى على كل لسان، حتى أصبح نشيدا يتلذذ السوريون بالهتاف به أو سماعه، وهو:

(يلعن روحك يا حافظ)

وقد حاولت تتبع المكان الذي ظهر منه هذا الشعار؛ ولأنني مولع بالتوثيق، وبعد لأي ومشقة ومتابعة لمئات الفيديوهات في تلك الفترة وسؤال الناشطين، تبين معي أن هذا الشعار ظهر في مدينة الحجر الأسود؛ التي يسكنها أبناء الجولان، وذكر لي من أثق بروايته قصة طريفة عن ظهور هذه المقولة حيث زعم أنهم كانوا في إحدى المظاهرات في مدينة الحجر الأسود، والشباب مشغولون بترديد هتاف الشعب يريد إسقاط النظام، وإذ برجل قد أكل منه دهر البعث عسل عمره، وأحاله ركاما استيقظ منه الشرر في العينين فقط، ولأنه بلغ من العمر عتيا؛ فكان يجر قدميه متأخرا عن المظاهرة بأمتار، وهذا الرجل يصرخ وحده:

يلعن روحك يلعن روحك ....

فجأة توقف الصف الأخير من المظاهرة وسأل هذا العجوز: (يلعن روح مين حجي)؟؟؟!!!!!

فقال العجوز يلعن روح حافظ الأسد، ومن هنا تناول الفتية هذا الشعار من حينها، وبدأوا يهتفون به .

ليس شعار (يلعن روحك يا حافظ) مجرد شتيمة وقدح في حق ديكتاتور حكم سوريا ثلاثين سنة، ثم هلك غير مأسوف عليه، وورَّث حكم البلاد والعباد لابنه الأخرق بشار.

إن القضية أعمق من ذلك، وخصوصا أن الشعار أطلقه عجوز جولاني من الحجر الأسود عاصر سوريا ما قبل البعث، وسوريا البعثية، وسوريا الأسدية، واستنتج هذا العجوز أن ما آلت إليه أحوال البلاد والعباد وبيع الجولان وضحك على العرب والعجم بقضية المقاومة والممانعة هو من صنع ذلك المأفون حافظ الأسد الذي وضع لمساته القذرة في كل شيء؛ فهذا الجيش الذي يدك المدن دون هوادة ورحمة بني بإشرافه حجرا حجرا وطلقة طلقة منذ

كان وزيرا للدفاع، والفساد الذي نخر البلاد ولم تنجُ منه المؤسسة الدينية بكل شيوخها ورهبانها هي من صنعه أيضا، وهذا العجوز الجولاني أدرك أن الشعار الذي كان يتردد في المدارس والجامعات والساحات العامة ويقول:

(قائدنا إل الأبد .. الأمين حافظ الأسد) ليس شعارا لتمجيد قائد ودكتاتور كم كان يحصل في كل دول العالم الثالث والدول الاشتراكية المنقرضة، أقول هو ليس شعارا فقط، بل هو فلسفة بناء دولة تسري في كل خلاياها روح حافظ الأسد التآمرية حيث قتل الجميع، وخصوصا رفاقه البعثيين، وانفرد بالسلطة، وهي روح فاسدة نشرت الفساد في كل شيء، وهي روح زئبقية؛ عربية- فارسية ،علمانية وصوفية، مقاومة – وعميلة؛ إنها روح فارة من الجحيم، جاءت لتملأ سوريا بكل ما هو رديء ووحشي، وبما أن الأقدمين في بعض أساطيرهم يحاصرون الأرواح اللعينة الفارة من الجحيم باللعنات حتى تعود للجحيم، ربما .. أقول: ربما تسرب إلى ثقافة هذا العجوز الجولاني شيء من هذا الاعتقاد الأسطوري القديم دون أن يدري، وأراد أن يطرد هذه الروح اللعينة إلى عالم الجحيم .

المصدر: ارفلون نت



قصة هتاف (يلعن روحك يا حافظ)

جحا الدمشقي

في بداية الثورة السورية في ١٥ آذار ٢٠١١ كانت الفعاليات الثورية تتم بشكل أسبوعي ويتم تسمية الجمع بأسماء تميز مظاهراتها ابتداءً من جمعة الكرامة في ١٨ آذار الى الجمعة العظيمة مرورا بجمعة الإرادة وجمعة الصمود. وبعد عشرة جمع متتالية قررت اللجان الثورية تحويل الفعاليات الثورية الى يومية من مطلع حزيران ٢٠١١ وبدأت تسمية الايام واختيار فعالية او هتاف يتم توحيده في جميع المحافظات فكان يوم احراق الصور ثم يوم الامتناع عن دفع الفواتير يوم الاضراب العام. وكانت الجمع والأيام يتم تسميتها عبر تصويت على عدة صفحات منها الثورة السورية ضد بشار الاسد وصفحة اللجان الثورية واتحاد التنسيقيات وغيرها.

وجاء يوم ١٠ حزيران ذكرى رحيل حافظ الأسد وأطلق اقتراح ان يتم تسميته بيوم لعنة روح حافظ وتوحيد هذا الهتاف في كل المظاهرات. ولكن كيف مر هذا الاسم لا اعلم رغم ان الاسلاميين السلفيين كانوا معترضين من باب انه لا يجوز اللعن، والاسلاميين المتنورين كذلك قالوا بالأخص لعن الروح لأن الروح من أمر الله. الكثير من القوميين والمستقلين كانوا معترضين من باب التخوف ان يستفز هذا الهتاف النظام ويدفعه الى مزيد من العنف والاجرام .واليساريين لم يروا فيه هتافا ذا قيمة والمتنورين قالوا بأن هذا هتاف سلبي وعلى الثورة ان تطرح شعارات تعطي روح ايجابية.. مع ذلك مر الاسم بقدرة قادر، وقد شكك الكثيرون بأنه لن يكون يوما ناجحا.. ولكن المفاجأة كانت مدوية عندما اثار هذا الهتاف روحا تمردية وكان تنفيسا حقيقيا عن سنوات من الكبت والقهر.. ولمس جميع المراقبين نشوة الحرية في ذروتها تنطلق من أعماق القلوب والحناجر..

قررت اللجان الثورية ان تمدد يوم لعنة روح حافظ لتكون ثلاثة أيام واعتقد الكثيرون أن هذا الهتاف سيخفت بعدها لكثرة استخدامه لكن الشعب السوري قرر ان يمدد يوم لعنة روح حافظ الى الابد وكان الهتاف الاكثر استخداما والاكثر تأثيرا وتفاعلا في كل مظاهرات السوريين في كل مكان في العالم وسيبقى الى ما شاء الله.
لقد قهرنا في حياته.. وقهرناه في مماته وسوف تبقى روحه ملعونة الى الابد.

يلعن روحك للابد يا حافظ الاسد



صفحات ثورية بطلة مؤيدة ساخرة

من تلك الصفحات صفحة "يلعن روحك يا حافظ المؤيدة" حيث اعتمد مدير الصفحة على نشر تعليقات لا يفهم منها إن كان موالياً أم معارضاً، الأمر الذي اختلط على من يزور الصفحة من المؤيدين، كما وثق آدمن الصفحة الدردشات الكتابية التي كانت ترده من المنحبكجية زوار صفحته المعترضين على اسمها رغم أنها مؤيدة، إحدى شبيحات الأسد دخلت مع الأدمن في الدردشة التالية:

-سوزان الأسد:
أدمن هلأ هي الصفحة مع القائد ولا ضده؟؟؟

-يلعن روحك يا حافظ المؤيدة:
أكيد مع القائد شو عم تحكي أنتي؟؟

-سوزان الأسد:
بس اسم الصفحة مزعج!! كيف يعني يلعن روحك يا حافظ المؤيدة؟؟

-يلعن روحك يا حافظ المؤيدة:
يا عيني ما بتعرفي أنه كل ما الفوار فتحوا صفحة معارضة بنفتح نحنا صفحة بنفس الاسم وبنضيف عليها كلمة المؤيدة؟

-سوزان الأسد:
صحيح بس ما بيصير هيك يكون اسم الصفحة، لازم يكون "يرحم روحك ياحافظ المؤيدة."

-يلعن روحك ياحافظ المؤيدة:
خطأ يا لبوة الأسد بالتسمية التي اقترحتيها لا نستطيع أن نخدع الفوار ونستدرجهم للإعجاب بالصفحة.

-سوزان الأسد:
بس عنجد ما عم بقدر اقتنع وما عجبتني الفكرة أساساً

-يلعن روحك يا حافظ المؤيدة:
لك عيني إذا ما أغريناهم بتسجيل الإعجاب بصفحتنا، كيف سنتمكن من إيصال الحقائق لهم؟ كيف سنكشف التضليل الذي يتعرضون له؟ كيف سنجعلهم يعودوا إلى حظيرة الوطن؟ أخبريني..

-سوزان الأسد:
بتعرف أقنعتني، وكما يقال الغاية تبرر الوسيلة، منيح أني سألتك عن سبب التسمية لأنني كنت أنوي إلغاء إعجابي بصفحتكم.

-يلعن روحك يا حافظ المؤيدة:
فعلاً منيح أنك سألتيني حتى أتأكد من الغباء الذي يعاني منه الشبيحة والمنحبكجية وأنقل الكلام للمندسين ضحكهم عليكم هههههه فعلاً يلعن روحك يا حافظ شو تركت لنا عاهات هههههه.

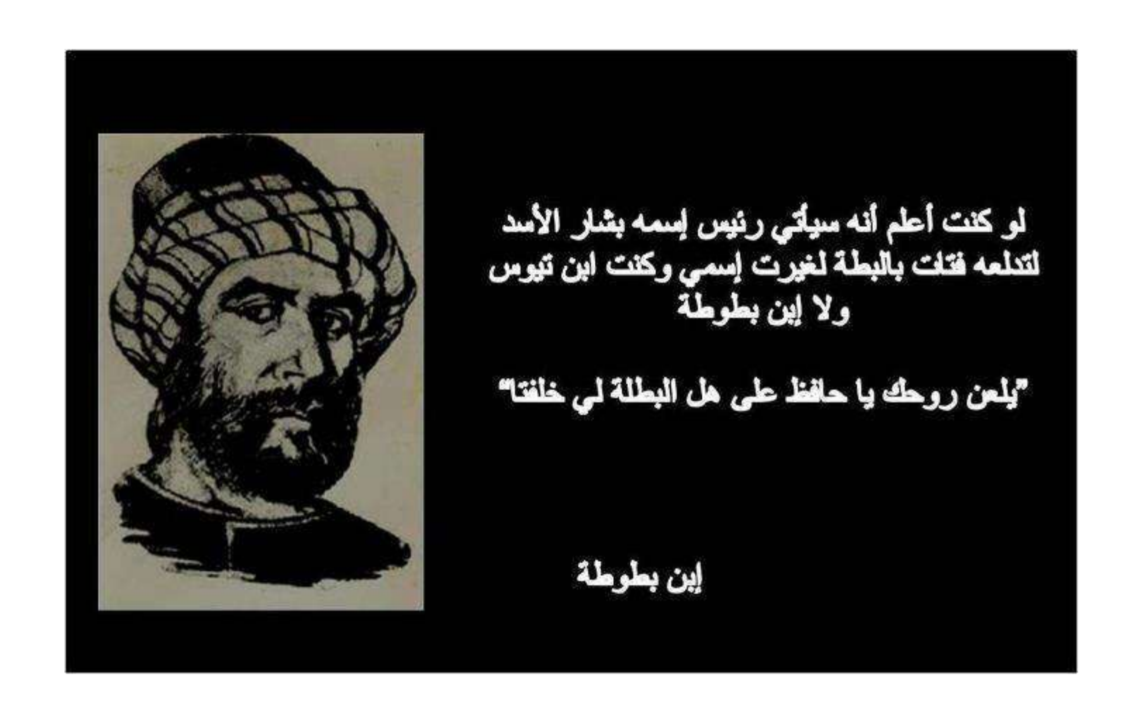


نهفاتٌ من رحم الثورة

خاص / دمشق- لمى شمّاس

يلعن روحك يا حافظ

اشهر هتافات وأغنيات الثورة السورية، والتي تمتاز بإمكانية غناءها بألحان مختلفة، وفقاً للظرف، كما أن بعض المحليين ممن أثار استغرابهم هذا الهتاف، وهو اختراع سوري بحت، لم يسبق استخدامه في ثورات التاريخ، ويعود سببه إلى حقد الشعب السوري على مقولة (القائد الخالد) التي طالما الحقت باسم حافظ اسد بعد موته، وكتعبير عن مدى كره الشعب لحافظ واسفه لأن هذه الثورة لم تقم منذ أيامه، فقرر ألا يستثنيه روحه من هتافات الشتيمة..



ملامح من ثورتنا الضاحكة

"أكلت حجر على راسي.. بس معليش كله فدا الوطن"، يقول شاب درعاوي ضاحكاً بخفّة، خلال احتجاجات الأيام الأولى للثورة السورية. ربّما كانت هذه الجملة التي قالها شاب مجهول الهوية، لا يظهر أمام الكاميرا، هي أول التعبيرات الساخرة الموثقة في الثورة. الثورة التي ترافقت فيها الابتسامة مع الدماء منذ لحظاتها الأولى.

كان رصاص الأجهزة الأمنية ينهمر على المتظاهرين، في الطريق الفاصل بين منطقتي درعا البلد ودرعا المحطة، انسلّت مجموعة من المراهقين الثائرين خلف خطوط عناصر الأمن، مستغلين انشغالهم ليركبوا سيارة إطفاء مركونة جانباً، كانت حاضرة للإسهام بقمع الاحتجاجات، ويقودوها بعيداً وسط القهقهات الممزوجة بالخوف.

عرفت السخرية طريقها إلى مختلف تعبيرات الاحتجاجات الصوتية والبصرية، في سنوات الثورة السورية الأربع، بدءاً بالهتافات واللافتات، مروراً بالغرافيتي والرسوم الكاريكاتيرية، وصولاً للأغاني والمقالات والمطبوعات، وليس انتهاء بالصفحات والمجموعات الافتراضية على وسائل التواصل الاجتماعي، أو حتى في أشرطة فيديو وأعمال وثائقية وسينمائية، قدمها فنانون مكرسون.

في البدء كانت الحنجرة

هتف السوريون "يلعن روحك يا حافظ"، بعد أشهر على اندلاع المظاهرات، وبعد نحو أحد عشر عاماً على وفاة رئيسهم السابق حافظ الأسد، كان الهتاف يجمع السخرية المرة والتحدي والنقمة على الماضي معاً. ثم أخذ متظاهرو بلدة كفرنبل إلى مرحلة أبعد، في إضفاء لحن عليه من الموسيقى الكلاسيكية.

يلعن روحك
ياحافظ

في دلالات "يلعن روحك يا حافظ"

مرهف الحمصي – خاص بغرافيتي



انطلقت الانتفاضة السورية في درعا، ,واحتلت هتافاتها المدى، شكلت هتافات "الله سوريا حرية وبس"، "الموت ولا المذلة"، "الله أكبر" الهتافات المركزية في بدايات الانتفاضة، أراد السوريون أن يكون الهتاف الأول عنوان انتفاضتهم، وقد جاء كرد فعل على الشعار السلطوي "الله سوريا بشار وبس"، أرادوا من خلاله كسر صنمية السلطية، تلك الصنمية التي استحوذت على سوريا ولم تبقي لأبناء سوريا الحقيقيين إلا الغياب. أما الهتافين الآخرين فقد كانا بمثابة رد فعل مندهش ومتحدٍ للقمع المرعب الذي واجه به النظام انتفاضة درعا فحظي بمشهدية أشبه باحتراق بوعزيزي، ولكن هذه المرة لم يكن بو عزيزي وحيداً وإنما كان احتراقاً جماعياً لشباب درعا.

لم يتمكن الغضب من السيطرة على أرواح عموم السوريين منذ البداية وأدركوا تعقيدات انتفاضتهم وتواضع حضورهم فلم ينفجروا هاتفين "الشعب يريد إسقاط النظام"، بل وأتت الجرافات لتزيل جثامين الشهداء الذين سقطوا بعد اقتحام الأجهزة الأمنية و قطعان الشبيحة لاعتصام الساعة الشهير في حمص، لم يتمكن السوريون من احتلال الساحات والاعتصام فيها إذاً، فلم يتمكن هتاف "ارحل" من احتلال ارواحهم.

واستمرت الحال كذلك، لم يستطع السوريون التماهي مع هتافات الربيع العربي إلا بعد شهور، فبعد تمادي القمع واتساع رقعة الانتفاضة وكسبها بعض الأنصار الدوليين احتل الغضب النفوس وانفجر السوريون في الساحات هاتفين "الشعب يريد إسقاط النظام"، سُعد السوريون بالهتاف ورددوه، ولكن الحديث عن الحوار وتفاعل طيف واسع من قوى وشخصيات المعارضة مع أطروحة الحوار والقمع المهول الذي واجه به النظام شعبه واتضاح ضعف كفة الانتفاضة أعاق هذا الهتاف ومنعه من التحول إلى صدى الروح الثائرة، لتستمر الروح السورية في البحث عن هتافها المنشود.

* * *

زلزل هتاف "يلعن روحك يا حافظ" الميادين والشوارع والأزقة السورية وتمكن من التربع على سدة الحناجر على الرغم من نفور النخب السياسية والثقافية والكثير من أبناء الكتلة الصامتة، لم يقتصر النفور على "شيوخ" النخبة بل إن تنظيمات شبابية ثورية رفضت الهتاف ودعت السوريين إلى تجنبه، تباينت حجج رفضه، بعضهم رأى فيه بعداً طائفياً وتمزيقاً للوحدة الوطنية، آخرون رأوا فيه تطاولاً على الشريعة والعقائد وقدسية الروح، كلها وجهات نظر وكلها تكتسي ببعض مشروعية ولكن الأكيد أن هذا الهتاف هو "هتاف يقشعر له البدن" كما يصفه الكاتب

اللبناني حازم صاغية، ولعل هذه القشعريرة وتلك النشوة التي يشعر بها السوري ترتبط في عقول الكثيرين من جيل آبائنا ب"العيب والحرام" مثلها مثل أي نشوة.

* * *

يلعن السوريون حافظ لأن عليهم كي تكتمل ثورتهم أن يغالبوا كافة التعقديات المجتمعية التي صاغتها الهندسة الاجتماعية الاسدية، فحافظ هو الذي هيكل الجيش والأجهزة الأمنية بحيث يضمن الولاء المطلق لجنرالاتها ليمنع السيناريو المصري والتونسي، حافظ الذي قام بمفصلة الجيش والأجهزة الأمنية مع عصبيات طائفية وعشائرية وعمل على تكريس هذه العصبيات والسيطرة على زعاماتها وإعادة صياغة بناها وما استدعاه ذلك من تماهي هذه العصبيات مع الاستبداد واستحالتها إلى مجرد أداة من أدواته وما يخلقه ذلك من تداعيات خطيرة على السلم الأهلي وعلى الوحدة الوطنية وما يتطلبه من درجة عالية لضبط النفس لدى كافة القوى الثورية.

يلعن السوريون حافظ لأن عليهم كي تنجح ثورتهم أن يغيروا المعادلة السياسية الأقليمية التي كان له دور أساسي في صياغتها، عليهم أن يواجهوا النظام اللبناني والأيراني والروسي، وأن يوجهوا ضربة قاضية "لمحور الممانعة" وفي الوقت نفسه ألا يتحولوا إلى أداة في يد "محور الاعتدال" وأن يثبتوا للأوروبين والأميريكين أنهم اليوم أصبحوا القوة، وأن عليهم أن يبحثوا عن مصالحهم في ثنايا توجهات القوى الثورية.

يلعن السوريون حافظ لأنه خنق كل تعبيرات المجتمع المدني في الوقت الذي يحتاج فيه الثوار إلى بنى مؤسساتية قادرة على مواجهة تعقيدات الثورة وخفض ضريبتها، بل واضطرهم إلى زيادة تلك الضريبة عبر اللجوء للعنف والاستقواء بالأجنبي.

يلعن السوريون حافظ لأنه المهندس الذي استطاع أن يحول السوريين إلى عجينة وأن يحوّل "الجوهر السوري" من "فسيفساء طائفية وقومية" و "مركز العالم القديم" و "قلب العروبة النابض"إلى عقبة تحول دون عودتهم إلى "فطرة الحرية" كما ولدتهم أمهاتهم.

* * *

ألحق السوريون مؤخراً هتافهم المحبب بلاحقة غير مؤدبة فباتوا يهتفون "يلعن روحك يا حافظ .. على هالجحش الخلفتو (الحمار الذي أنجبته)"، يندب السوريون حظهم، حتى الديكتاتور الذي يسقطونه ليس بالهيبة المعتادة، بل إن الإعلام ما برح يصفه بالطبيب الوسيم والمتحضر، تطالبهم ثورتهم بالمستحيل ولكنها في المقابل لا تمنحهم متعة إسقاط ديكتاتور يحظى بالهيبة والحضور الذي حظي به حافظ و صدام أو ستالين و هتلر، ديكتاتور غير عسكري، يلثغ بالأحرف، ولا يكف عن القاء النكت في خطبه، ديكتاتور السوريين لا يحرمهم من ضحكاته، ديكتاتور السوريين يتحول ناسياً نفسه إلى استاذ في المنطق ليشرح لشعبه مبررات قرارته، بل وديكتاتور لا يقنع مؤيديه الذين طالبت شرائح منهم على شبكات التواصل الاجتماعي بعودته إلى العيادة كي يسلم لأخيه العسكري ماهر القيادة.

يهتف السوريون هذا الهتاف على أنغام شبيهة بما ينشده الالتراس في مباراة حامية الوطيس وضمن طقوس احتفالية تذكرنا بالقبائل اللاتينية يتخللها القفز وتشكيل حلقات الرقص، وهم في الوقت نفسه غالباً ما يلحقونه بهتافات آخرى من نوع "يا الله ما لنا غيرك يا الله (يا الله ليس لنا سواك)"، "على الجنة رايحين ، شهداء بالملايين". من لا يعرف سوريا سيسكنه تناقض غريب، فهو سيظن أن هذه الهتافات الاستشهادية ناتجة عن هول المواجهة مع الأجهزة القمعية، إلا أنه سيتساءل إن كانت الحال كذلك فلماذا يهتفون هتافاً من نوع "يلعن روحك" بل ويلحقونه بلاحقات ساخرة وتهكمية لا يمكن إلا أن تزيد هول المواجهة.

أغلب الظن أن هول المواجهة لم يعد يرعب السوريين، فقد ركّب السوريون للرصاصة سراج وأدمنوا الموت على اعتبار أنه الدرب الوحيد الذي يمشي بهم إلى الحياة. وأن هذا التراكب السحري بين الهتافات الساخرة والهتافات الاستشهادية وبين مشاهد القفز وحلقات الرقص والأجواء الجنائزية هو مؤشر آخر أن السوريين يعون أن ثورتهم لا تواجه ديكتاتوراً بقدر مواجهتها لسوريا الأسد.

* * *

احتفظ منذ طفولتي بذاكرة غريبة عن حافظ الأسد، إنه رجل يدخّن ما يزيد عن مائة لفافة من لفافات التبغ الوطنية الغثّة والثقيلة على الحنجرة. في منزلنا، كان والدي المدخن الوحيد في العائلة، كان قليل الكلام، هادئاً وصارماً في الوقت نفسه، أفعاله تبدو لي أنا الجاهل حازمةً وحكيمة، وله على منزلنا سطوة كلية القدرة، كان حضوره يعني بشكل من الأشكال غيابي، كنت أمازح أمي مثلاً أو اشتكي لها أو أتفف منها، ولكن في غياب أبي، أما في حضوره فأسارع إلى ارتداء قالب الطفل المهذب الوديع المطيع، كان أيضاً دائم التدخين، لا يخلو فمه من السيكارة وكانت هذه السيكارة بالنسبة لي السبب الوحيد لصرامة والدي وهيبته وحزمه وهدوئه، كل هذه الصفات على الرغم من أن والدي لا يدخن إلا عشرين سيكارة في اليوم، فكيف الحال مع رجل يدخن ما يزيد عن مائة سيكارة! قتل "الأب القائد" هو ما يحكم علاقة السوريين بحافظ، ووحده حضورهم الكلي ما سيطرد روحه، وكل الأمل ألا ينتقل السوريون إلى حالة الشعور بالذنب، التي تعقب قتل الأب عادةً، ليعيدوا إنتاج روحه ويتماهوا معها، فيعيدوا إنتاج بطريركيتها وما يستتبعه ذلك من إعادة إنتاج الدمعة على وجه الأم سوريا.



موت الأبد السوري

مايو 7، 2012
مجلة كلمن، عدد 6، ربيع 2012
محمد أبي سمرا

بصعوبة وبطءٍ وعسر بدأت الانتفاضة في سوريا. ارهاصاتها الاولى غير المباشرة، بدأت بصرخات شبان ورجال تجمهروا في احد اسواق دمشق، وهتفوا »الشعب السوري ما بينهان«، رداً منهم على رجل امن او شرطي قام بضرب شاب ضرباً مبرحاً، جرياً على عادة عرفية، لأي من الاسباب واتفهها، في «سوريا الاسد». الجديد والمفاجئ في الحادثة التي وقعت بعد ايام من انتصار الثورة المصرية في 11 شباط 2011، ان جمهرة الشبان والرجال الذين نجدوا الشاب المعتدى عليه، استطاعوا جبه رجال الامن وآمرهم الضابط، ومنعهم من اعتقاله ورميه في سيارتهم، كالعادة السائدة في مثل هذه الحالات. الانتفاضات العربية الزاحفة ضاعفت دلالة الحادثة وابرزتها، فتناقلت الخبر عنها وسائل اعلام اوروبية وعربية، بعد أخبار عن دعوات كثيرة فاشلة للتظاهر في دمشق، وجّهت عبر الفايسبوك بالتزامن مع دعوات جزائرية مماثلة، لم تستقطب سوى عدد ضئيل من المتظاهرين في احدى ساحات الجزائر العاصمة.

الوقفات والتظاهرات الاحتجاجية الاولى، وتلك الداعمة لثورات «الربيع العربي» بدأت في دمشق، ودعا اليها وشارك فيها ناشطون وكتّاب وصحافيون وفنانون من الجنسين، ومن بقايا ما سمي «ربيع دمشق» الصغير الذابل في 2000 .لكن هذه البداية لم تكن مشجعة ولا باعثة على الامل، بل على شعور بالعسر، على ما اشارت فدوى سليمان التي شاركت في بعض تلك الوقفات والتظاهرات الدمشقية.

بعد لهو اطفال درعا بكلمات «الربيع العربي» واعتقالهم وتعذيبهم، وخروج اهاليها الى الشوارع متظاهرين محتجين، وسقوط بعضهم جرحى وقتلى برصاص رجال الامن، وتكرار المَقاتل يومياً في المدينة، فإن ما حدث في درعا كان ما ادى الى تكوّن جسم او بؤرة اجتماعية اهلية ومحلية متجددة في سوريا، وادى تالياً الى تكوّن بؤر اخرى مماثلة في مدن وبلدات وارياف سورية خرج اهلها متظاهرين محتجين وهاتفين «يا درعا حنّا [نحن] معاكِ للموت.«

تكرار المقاتل يوميا في هذه البؤر المنتفضة، أحيى في ذكريات السوريين وروعهم المقتلة الأسدية الكبرى في حماة وسواها من مقاتل صغرى او جزئية تناسلت في الديار السورية ما بين 1979 و1985. لكن هذه المقاتل لم تكن منسية أو مندملة، بل حاضرة حضوراً راعفاً ومروعاً في ذاكرة السوريين الجمعية، حتى في ذاكرة الأجيال الشابة التي ولدت ما بعد 1982. فما فعله حافظ الاسد واخوه رفعت ورهطهما الامني والعسكري في حماه، رُفع امثولة – معلماً في تاريخ سوريا البعثية التي نصب الاسد الاب تماثيله وصوره الصنمية الضخمة في شوارعها وساحاتها العامة. هذا يفسر من أي عمق هتف الشعب السوري المنتفض على جمهورية الطغيان والصمت الاسديين، صارخاً تلك الصرخة التوراتية «يلعن روحك يا حافظ» التي تبدو صرخة «الربيع العربي» المشتركة والعامة «الشعب يريد اسقاط النظام»، أهزوجة اطفال مقارنة بها. فسوريا العميقة، المشتتة والمتباعدة جغرافياً على الاقل، بدأت غالبية جماعاتها تعثر على صورتها ووحدتها في هذه اللعنة، بعدما عثرت، في سياق «الربيع العربي» على بؤر عميقة لانتفاضتها في الاجسام الاهلية الداخلية المتناثرة والمحتلة امنياً، والمستغرقة في عزلاتها الصامتة الكئيبة. في هذا المعنى صنعت الديار السورية المتباعدة انتفاضاتها بطيئا بطيئا وتدريجا، على خلاف الانتفاضة الثورية المصرية العاصفة التي أخرجت الملايين من الشعب المصري دفعة واحدة تقريباً الى الشوارع والساحات ابتداء من «جمعة الغضب» في 28 كانون الثاني 2011، وحتى اخراج الرئيس حسني مبارك من سدة الرئاسة بعد ايام مشهودة متسارعة لا يتجاوز عددها العشرين.

تحليل سيكولوجي لهتاف "يلعن روحك يا حافظ"

بقلم: مُحب الغيث

كي نفهم أزمات الشعوب العربية خلال فترة الربيع العربي، لابد أن نراقب شعارات وهتافات الثوار، فهذه الهتافات هي تعبير عن أزمة مجتمع، ففي مصر رفع الثوار هتاف "عيش حرية عدالة اجتماعية" وهذا تعبير صريح من المصريين عن وضع معيشي ومادي صعب واضطراب التوازن بين شرائح المجتمع و التوق للحرية، "وفي ليبيا رفع الثوار هتاف" دم الشهيد ميمشيش هباء "في تعبير عن أن المجتمع الليبي العشائري والمناطقي أصبح بينه وبين النظام دم وثأر لن ينتهي إلا بسقوط النظام، وفي سوريا كان أحد الهتافات الأبرز هو "يلعن روحك يا حافظ"، فما السر خلفه يا تُرى؟

يقول علماء النفس حينما تريد فهم شخصية لفرد ما "راقب كلامه وقت الغضب، فهو تنفيس للمكنون الداخلي المتراكم الذي ينطلق تعبيراً عمّا يختلج في جنبات الروح"، بعد تفجر الثورة السورية في مظاهرات بسيطة بتاريخ 2011/3/15 في سوق الحميدية العريق في دمشق، وتلتها بثلاثة أيام الجمعة الأولى لأطفال درعا، برز جلياً لكل المتابعين الهتاف الأشهر "يلعن روحك يا حافظ " ردده السوريون في حوالي ألف نقطة تظاهر في عموم سوريا، ضجت سوريا بهذا الهتاف، بُحت حناجر الثوار وهي تردد هذا الهتاف بحرقة بالغة.

هتاف "يلعن روحك يا حافظ"، يمثل حالة الكبت والقهر الداخلي لدى الشعب السوري، ويمثل أزمة فعلية لدى الشخصية السورية، فالإنسان في الوضع الطبيعي حين يُظلم على يد نظام يُعبر عن ظلمه بأشكال، عادة، لا تصل إلى هذا الحد، ولكن أن يكون التعبير عن القهر والكبت من خلال هذا الهتاف، فهو صيحة من الشعب السوري للعالم أن انتبهوا، هناك شعب منسي لم تضعوه في حساباتكم، هذا الشعب يعاني من قهر فظيع لا يتصوره العقل البشري، والتعبير عن هذا القهر خرج صارخاً دموياً كالحمم من بركان ثائر "يلعن روحك يا حافظ ".

هتاف "يلعن روحك يا حافظ"، يمثل مدى استهتار السوريين بعد الثورة ببشار الأسد، فهو في رأي كثيرين "وصل إلى الحكم صدفة بعد وفاة أخيه باسل" و" ولد ولو حكم بلد"، فلم نرَ اللعائن تتجه نحو بشار، بل صبوا جام غضبهم نحو أبيه الميت منذ أكثر من عقد وهذا يمثل قناعة وإيمان راسخ في الوعي الجمعي لدى السوريين أن المسؤول الأول والأخير عن كل ما مرت به سوريا هو حافظ الأسد، هذا الرجل الذي بنى المنظومة الأمنية ووطد أركان النظام ومنع الشعب من ممارسة أي أشكال الحياة السياسية ولو كلامياً، فبشار الأسد بعكس أبيه شخصية مهزوزة في نظر السوريين، والمتحكم الفعلي في النظام هم المحيطين ببشار من قادة الأجهزة الأمنية السورية والإيرانية.

"يلعن روحك" و"الحل السياسي"

ياسر العيتي

لم تخرج صرخة "يلعن روحك يا حافظ" إلا بعد أن واجهت عصابة الأسد المتظاهرين السلميين بالرصاص. كانت صرخة عفوية أعلنت موت عصر وولادة عصر جديد.

ورد لعن الظالمين في القرآن عدة مرات، لكن صرخة "يلعن روحك يا حافظ" في سياق الثورة السورية لم تكن دعاءً دينياً بقدر ما كانت شعاراً سياسياً خرج في لحظة انعتاق من القهر الذي فرضته "روح حافظ" على السوريين لأكثر من خمسين عاماً.

الروح في شعار "يلعن روحك" لا تعني الروح التي ينفخها الله في البشر وإنما النهج الذي بنى حافظ دولته على أساسه، وكما الروح تتغلغل في الجسد وتحركه وتعطيه حياته وهويته تغلغلت "روح حافظ "في جسد الدولة السورية وأعطتها هوية الخوف والقهر والإذلال لكل السوريين، وكما الروح تبقى بعد فناء الجسد بقيت روح حافظ بعد موته، بقي الحقد الذي عبر عن نفسه بإطلاق النار على المتظاهرين وقتل العشرات منهم، وإذا كان الجسد يفنى بالموت فإن السوريين ما كانوا ليتخلصوا من روح حافظ إلا بالتمرد عليها، وفي أشد لحظات القهر وتحت الرصاص هوى السوريون على حاجز الخوف الذي بنته "روحه" في نفوسهم بأثقل مطرقة ممكنة ليحطموه دفعة واحدة فهتفوا في لحظة انعتاق استثنائية "يلعن روحك يا حافظ".

"روح حافظ" هي حذاء المحقق الذي يدفعه في فم المعتقل قائلاً " مين ربك ولاك" فلا يخرجه ما لم يشهد المعتقل بأن ربه بشار الأسد!

"روح حافظ "هي السكين التي مزقت جسد حمزة الخطيب، والسجائر التي أطفأها المحققون في أجساد عشرات ألوف المعتقلين الذين شاهدنا صور جثثهم الضامرة

"روح حافظ" هي التي نشرت الفساد والسرقة في مؤسسات الدولة وعززت أخلاق النفاق والتكاذب بين السوريين

"روح حافظ" هي التي شوهت الدين وحولته مطية للظالمين

"روح حافظ" هي التي أججت الأحقاد الطائفية والمناطقية والعرقية بين السوريين

"روح حافظ" هي التي مزقت سورية وأدخلت إليها الطائفيين والقتلة والمرتزقة من كل أنحاء الأرض

"روح حافظ" هي التي تقتل يومياً عشرات الأبرياء من السوريين منذ سبع سنوات

في روح السوريين الكثير من الطيبة والجمال والذكاء والإبداع وحب الحياة ولن ينجح "حل سياسي" ما لم تعد هذه الروح الحقيقية إلى الجسد السوري ولا يكون ذلك ما لم تخرج منه "روح حافظ" الخبيثة مرة واحدة وإلى الأبد.

دروس في الحرية.. بدكن حرييي؟

خطيب بدلة

قلت لصديقتي "هلالة" إن الحوار مع الدواب يدل على الغباء، والتيسنة، ومع ذلك خطر لي، أنا الذي أدّعي الآدمية ورجاحة العقل، أن أحاور ذلك العسكري البغل الذي ظهر قبل عشر سنوات في فيديو وهو يدوس على ظهور الشبان الثائرين ويسألهم "بدكِنْ حرييييي؟."

ضحكت هلالة ضحكة قليلة التحفظ، وقالت: هذا إذا رضي ذلك البغل أن يحاورك .ثم، بماذا تحاوره؟ في مفهوم الحرية عند كانط وسبنيوزا؟ قلت: لا، هو ليس حوارًا بالمعنى الفلسفي، ولكنني سأحلف له بالذي حجبه عن أكل التبن، والشعير، وقشور البطيخ، أننا، في ذلك الوقت نعم، كنا نريد حرية، أما الآن فقد تراجعنا. قالت، بلهجتها الإدلبية المميزة: بسلامة عقلك يو خاي. خير؟ أشو صاير معك؟

قلت لها ما معناه إن السنوات العشر الماضية علمتنا دروسًا لا يمكن إحصاؤها، في مواضيع كثيرة، ومفيدة، أهمها: الثورة والحرية والكرامة. قالت :وأنت لسه متمسك بالثورة؟ قلت: نعم ولا، والأرجح أنني محتار، ولكنني أستخدم كلمة "ثورة"، تحسبًا لرد فعل عنيف من الثوار الأشاوس المقيمين في البلاد الأوروبية، الذين لا يرضون عنها بديلًا، ويحلفون بالجنسية، والإقامة المفتوحة، والجوب سنتر، والكندر غِلْدْ، على أنهم سيضحون بآخر سوري في سبيل انتصار الثورة وإسقاط النظام المجرم.

قالت: ماذا تسميها إذن؟ قلت إن الأصح، برأيي الدرويش، أننا لم نثر مثلما ثارت شعوب العالم عبر العصور، بل انفجرنا انفجارًا، من التعب، والذل، والطفر، والطوابير، والغبرة، وقلة القيمة. وجدنا أنفسنا، فجأة، نركض في الشوارع، واضعين دماءنا على أكفنا، وحناجرنا تهتف سلمية سلمية، حرية حرية، الشعب يريد، الشعب يريد...

وبقيت هتافاتنا، يا ست هلالة المحترمة، هادئة، وحضارية، ولبقة، حتى طالت علينا الأيام، فانفجرنا مرة أخرى، وصرنا نصيح يلعن روحك يا حافظ، على هالجحش اللي خلفتو، وراحت السَكرة، كما يقول الناس الذين لا يسكرون عادة، وجاءت الفَكرة، فوجدنا أنفسنا مثل بيدر القش الذي تشتعل فيه النار، وتهب عليه رياح عاتية، تقتلعه من شروشه، ثم تذروه. مات منا مَن مات، (إذا شئت قولي "استشهد"، فأنت حرة في اختيار ألفاظك)، ونزلت صواريخ ابن حافظ الأسد والإيرانيين والروس وحسن زميرة على بيوت المواطنين السوريين، فجعلتها قاعًا صفصفًا، ووجد ساكنوها أنفسهم هائمين على وجوههم في الطرقات البرية، حاملين أطفالهم الذين لم يموتوا تحت الأنقاض، يطرقون الأبواب التي يصادفونها، عسى أن يُفتح باب الرحمة الإنسانية العظيمة أمامهم، فيحصلون على مأوى، وقليل من الدفء، ولقمة أكل، ووقتها لا شك أنهم سيسامحوننا بالثورة، والحرية، والكرامة، وإصلاحات بثينة شعبان، وقانون الأحزاب، و"أبو عمشة"، و"الإخوان المسلمون"، وكل الهيئات التي تدعو إلى تحرير بلاد الشام من رجز الصهاينة والنصيرية الكلاب.

قالت: هذه أول مرة أسمعك تتحدث بهذه العصبية. يا ترى أشو شفت حتى انفجرت؟ قلت: شفت شوفة جعلت شعر رأسي يقف مثل شوك القنفذ. هل تعرفين الصحفي المعارض "سين صاد"؟ قالت: أعرفه. يقطع عمره، واحد طائفي نتن. قلت: هل تصدقين أنه طالع في فيديو يتحدث عن طائفية النظام؟!

مقدمات حصر الإرث

نهاد امبارح

قد صارت «عظامه مكاحل» إذا استخدمنا القول السوري الدارج، ولكن رغم ذلك، يرى قول سوري دارج آخر أن حافظ الأسد ما يزال يحكم من قبره. وفي ذكرى موته العشرين، لن أعمد إلى استعادة لحظة موته وما أعقبها، لكنني سأحاول أن أضع هذه المقولة الدارجة تحت الاختبار، كي أرى مقدار المجاز فيها ومقدار الحقيقة.

وإذا كان أحد شعارات الثورة السورية، «يلعن روحك يا حافظ»، رداً على هذا، فإن العودة إلى عقد التسعينات، الذي عشتُ فيه مراهقتي وبدايات شبابي، عبر ذاكرتي كما سُمح لها أن تعيش، مفيدة لتلمّس تلك السنوات العشر، سنوات تجهيز «الأوضاع» لكي يستلمها الوريث بأسلس الطرق.

يحكم من قبر

قلتُ في أكثر من موضع إن حافظ الأسد يحكم من قبره، أو إنه لم يمت بعد. وليست هذه العبارات من إنتاجي ولا خاصة بي، ولهذه العبارات ترجمة أكثر شعبية، وهي لعنُ روح حافظ الأسد في المظاهرات وفي أحاديث المعارضين منذ العام 2011. هل لدى الرجل قدرات استثنائية فوق بشرية تجعله يحكم من غياب، على طريقة خطابات بعض الأنظمة الثيوقراطية؟ أم أنه كان عبقرياً إلى درجة أنه «خطط» ما يجب أن يُفعل لعقود تلي موته؟ في الحقيقة، لا هذا ولا ذاك.

يُفهم لعن المعارضين لروح حافظ الأسد أكثر حين نرى أن معسكر النظام يسمّيه «القائد المؤسس». مؤسس لأي شيء؟ كانت سوريا ما بعد الاستقلال ناجزة حين أتى حافظ الأسد (ولو ناقصة التراب بسبب احتلال الجولان عام 1967، وحافظ الأسد كان وزير دفاع حينها). ونظام الحكم، البعثي، كان قائماً، و«الحركة التصحيحية» لحافظ الأسد غيّرت فيه، ظاهرياً، مجرد رتوش؛ فماذا «أسس» حافظ الأسد بالضبط؟

لقد أسَّسَ حافظ الأسد الأسدية، لمركّب العنف والمال والولاء الذي يحكم فعلاً، ويسعى للأبد، وجاعلاً أي شكل مؤسساتي للدولة، جيشاً وأمناً وقضاءً وحكومة.. الخ عبارة عن منفّذ روتيني لقراراتها، بأحسن الأحوال. وأهم أركان الأسدية نجدها في عقيدة إخراج السلطة من أي سياق صراعي أو سجالي من أي نوع، وجعلها ناظمة لكل نسق يأتي تحته. فبالعنف السخي، وبالوعود بعنف أكبر وأكثر لا حدود له إن لزم الأمر، جَعَلَ السلطة شأناً راسخاً، وجَعَلَ إمساكه بها من «طبيعة الأشياء» في بلد ذي علاقة هوسيّة بالانقلابات، بلد كان عصياً حتى على جمال عبد الناصر في أوج لحظات قوّته، ولم تكن علاقة أهله بالسلطة وتغيّراتها بالغة الدموية.

كثيراً ما يتندر السوريون على فترة عدم الاستقرار والانقلابات السياسية، كان فيها اعتقال، وكان يحصل أن يقع قتلى أحياناً، لكن لا الكم ولا النوع مشابهان لما أتى بعدها بعقود. أحد معارفي، من قُدامى المناضلين الشيوعيين منذ يفاعته أيام الاستقلال، كان يتندّر بوجود بقجة معلّقة بجانب باب البيت، إذ كان يُعتقل بعد كل انقلاب، بل كان اعتقاله الروتيني بمثابة إخطار لحارته بأن «انقلاباً» قد مكّن الحكم لجماعة جديدة، إلى حين. في كل اعتقالاته، بالكاد أكل صاحبنا صفعة أو ركلة، لكن آثار التعذيب في جسده بعد اعتقاله البعثي الأول، والأخير، الاعتقال الذي أخرجه من السياسة تماماً، هي خير تجسيد للقفزة النوعية في مدى العنف والاستباحة. إذاً، باستثناء حقبة الوحدة التي لمع فيها عبد الحميد السرّاج (وهو اليوم مزحة مقارنةً مع أي ملازم في الأمن العسكري)، فإن حافظ الأسد هو الذي «أسَّسَ» نهايات واقع الرعب الشّال والرضّ النفسي المديد: الاقتراب من السلطة ثمنه الدم، ولا دم في سوريا ولا في المشرق يكفيان لسداد هذا الثمن.

وقد لاقى «تأسيس» حافظ الأسد هذا طلباً دولياً. القوى الكبرى تُفضّل الحديث مع حافظ الأسد طوال 30 عاماً، على أن تحكي مع بلد غير مستقر، ومع حكام متغيرين كل سنتين أو ثلاث أو أربع. وهذا التفضيل يُمكّن القوى الدولية، اللاعبة الفعلية في شطرنج الجيوسياسة، من أن تبلع حتى معمر القذافي، فما بالك بشخص «يفهم» عليهم جيداً مثل حافظ الأسد، بغضّ النظر عن مناوراته ضمن الحدود المقبولة لهذا «الفهم»؟

تحويلُ سوريا إلى موضوعة جيوسياسية، إلى لاعب بحت، وبلد صامت يحكي باسمه شخص واحد، هو مأساتنا كسوريين، وهو ما أسَّسه حافظ الأسد. ولم يكن ذلك نتاج عبقرية استثنائية، بل كان نتاج امتزاج الوحشية المفرطة مع «شطارة» غريزية في الحفاظ على البقاء. إذا كان ثمة «ذكاء» في سيرة حافظ الأسد ونظامه، فهو متعلقٌ بمسألة واحدة فقط؛ تأسيس النظام كلّه على الانضباط في مبدأ واحد لا محيد عنه؛ المهم هو الاحتفاظ بالسلطة بأي ثمن، ولا شيء آخر.

بالاستناد إلى هذا المبدأ، قام حافظ الأسد بـ «تجهيزنا» خلال عقد التسعينات. فكّكَ الألغام الإقليمية والمحلية التي قد تعترض سبيل التوريث، وقام برسم المعالم الرئيسية لحياتنا بما يتناسب مع تأبيد الحكم، وفتح أمام وريثه طرقات تسير باتجاه واحد؛ كل السلطة على السوريين وحياتهم، وأي شيء آخر قابلٌ للمساومة مع الأقوياء الذين يديرون العالم. نقول بعد عشرين عاماً إن حافظ يحكم من قبره، لأن الحصاد الدموي خلال العقد الماضي كان ثمرة الزرع الذي نثر بذوره حافظ الأسد.

وعليَّ أن أعترف أنني تعبت من أن يحكمني حافظ الأسد، حيّاً كان أم ميتاً.



الانتفاضة السورية خارج السياق داخل التاريخ

الكاتب: حازم السيد

تاريخ النشر: الجمعة 25 أبريل / نيسان 2014

بحثٌ في الديناميّة الناظمة لإستراتيجيّات نظام الاستبداد في سورية لمواجهة الانتفاضة الشعبيّة.

مقدّمة

لطالما عانى السوريّون خلال دراستهم الإعداديّة والثانويّة من سماجةِ كتب التربية القوميّة، أكثر ما يشرح هذه السماجة هو ذلك الاستهلال الإنشائيُّ المبتذَل الذي يتغنّى بالمكانة الإستراتيجيّة لسورية، وبحضورها التاريخيّ و بإسهامها في تلوين الثقافة الإنسانيّة بالعقائد الإثنيّة والدينيّة. ولكن، مع انفجار الانتفاضة الشعبيّة في سورية تحوّلت هذه السماجةُ الإنشائيّة إلى واقعٍ أسودَ يطبق على سورية، فقد تمكّن النظامُ السوريُّ من استغلال هذه الميّزات لإعادة إنتاج الكيان السوريّ وتحويله إلى قنبلةٍ موقوتةٍ يطبق على صاعقها.

لا بدَّ لنا إذاً من مراجعة ذلك الاستهلال الإنشائيّ ودراسته بدقّة، فلماذا اختلف مسارُ الانتفاضة السوريّة عن مسارات باقي انتفاضات ما بات يُعرفُ اليوم بالربيع العربيّ؟ ما هي تلك الإستراتيجيّات التي اتّبعها نظامُ الاستبداد في سورية ليثبتَ أنّها ليست تونس وليست مصر وليست ليبيا وليست اليمن؟ هل يمكن أن تقتصرَ هذه الإستراتيجيّات على العنف الأعمى والدعم والغطاءاتِ السياسيّة والعسكريّة والاقتصاديّة الروسيّة والإيرانيّة لهذ العنف؟ لماذا لم تنجح هكذا إستراتيجيّات في بلدانٍ أخرى بينما تنجح في سورية؟ هل يُعقل أنّ الغربَ و القوى الدوليّة الداعمة للانتفاضةِ كلّها غير قادرةٍ على إيجاد منفذٍ أو تسويةٍ لنزع هذه الغطاءات؟ في زحمة هذه الأسئلة المتشابكة، لا بدّ لنا من تفحّص أسئلتنا، فالسؤال الصحيح نصف الجواب، لذلك أرى أنّه لا بدَّ لنا من التساؤل، هل يعتمد بقاءُ النظام على الإستراتيجيّات التي اتّبعها وغطاءاتها أم أنّ هنالك سبباً آخرَ؟..

أهداف البحث

سأحاولُ عبر هذا البحث الإجابة عن هذا السؤال والتعريف بذلك السبب عبرَ مقاربة المسألة السوريّة من منظورٍ تاريخيّ جيوسياسيّ بالاعتماد على مصطلح الشرق الأوسط، حيث سأعملُ على دراسة مكانة سورية وفقاً لأبعادِ ودلالاتِ هذا المصطلح، والبرهنة على أنَّ حضورَ سورية كبؤرةٍ شرق أوسطيّة يشكّل الديناميّةَ الأساسيّة التي تعمل على نظم وترميم إستراتيجيّات النظام السوريّ في دحر الانتفاضة، هذه الإستراتيجياتُ التي يكلّلها الغباءُ والهمجيّة والعجرفة، والتي ما كان من الممكن أن تسمحَ ببقاء النظام كلَّ هذا الوقت دون وجود هذه الديناميّة التي بلورتها الهندسةُ الاجتماعيّة والسياساتُ الخارجيّة التي مارسها نظام حافظ الأسد وابنه على مدى أربعة عقودٍ، والتي تحوّلت إلى ما يشبه الروح التي تسكن الكيانَ السوريّ، تلعنه وتمنع أبناءه من إعادة إنتاجه بناءً على مصالحهم ورغباتهم. بمفرداتٍ أخرى، إنّه بحثٌ عن السبب الذي تحوّلَ بموجبه هتافٌ فظٌ لا يراعي "حراماً" أو "عيباً" كهتاف "يلعن روحك يا حافظ" إلى هتافٍ شعبيٍّ هادرٍ!



المضمون السياسي لشعار "يلعن روحك يا حافظ"

ماهر شرف الدين

لا نعرف اسم المواطن السوري (أو المواطنة السورية) الذي كان أول من أطلق شعار "يلعن روحك يا حافظ"، لكننا نستطيع التقدير أنه كان أحد هؤلاء المتظاهرين الذين ملأوا ساحات سوريا في المرحلة السلمية للثورة السورية.

والمؤسف أن هذا الشعار – بسبب صيغته الهجائية وروحه الساخرة – جعل الكثيرين من مدّعي الرصانة في القراءات السياسية يحجمون عن أخذه على محمل الجد في المعنى السياسي، بل إن الأمر وصل بأحدهم حدَّ المناكفة عبر القيام بعكس مضمونه (كما فعل ميشيل كيلو في لقائه على تلفزيون "أورينت" حيث قام بالترحُّم على روح حافظ الأسد).

والحقّ أن القراءة التقليدية هي فقط من تعتبر هذا الشعار مجرّد شتيمة، وتتغاضى عن مضمونه السياسي المتعدِّد الأبعاد.

فأولاً، هذا الشعار هو أول شعار سياسي يخرج بعد نصف قرن من الاستبداد المطلق وخنق الحرّيات والإرهاب الفكري والجسدي، ما يعني أن من حقّه أن يحمل روح النقمة وروح الانفجار، والأهم: روح الارتطام الأول بجسد السياسة الذي غُيِّب في أقبية الحكم الأسديّ مع عشرات الآلاف من معتقلي الرأي.

ثانياً، إنَّ اختيار فعل الشتم -كمضمون سياسي – لم يأتِ عبثاً في بلد يُعتبر فيه شتم الرئيس كبيرة الكبائر التي ستذهب بفاعلها إلى غياهب السجون وحبال المشانق، وبالتالي فالشعب بهذا اللعن يتحدَّى أكبر الكبائر التي وضعها النظام، كاسراً بذلك حاجز الخوف الذي بناه حافظ الأسد لبنةً لبنةً.

ثالثاً، إنَّ اختيار حافظ الأسد (وليس بشار الأسد) لممارسة فعل اللعن عليه، فيه من المضمون السياسي الشيء الكثير، حيث إن الشعار مدرك تماماً لأهمية هجاء الحقبة كاملةً، وليس بالتجزئة، وبالتالي اعتبار ما يجري هو من صنيعة مسار كامل ومتكامل من الاستبداد وليس وليد حادثة معينة ومحدودة أشعلت الثورة في سوريا. وهذا يعني التعامل – سياسياً – مع بشار الأسد في وصفه مجرَّد امتداد (ممطوط) لظلّ أبيه.

رابعاً، إن روح التهكُّم التي صيغ بها هذا الشعار تحمل هجاء سياسياً لشعارات المرحلة الآفلة والتي قامت على اصطناع العبوس والجدّية والبطولات، كما أن هذه الروح تُعبّر إلى حدّ بعيد عن الجيل الجديد الذي أصابه الملل والقرف من الزيف السياسي و"القضايا الكبرى" التي استُخدمت غطاءً لتمرير القضايا الصغرى، بل والصغرى جداً.

خامساً، إضافة إلى بُعد النكاية السياسية التي يتحلّى بها هذا الشعار حيث أنه يضرب على أعصاب المؤيّدين الذين يضعون حافظ الأسد في مرتبة القداسة، ثمة بُعد آخر يمكن تسميته بـ"بُعد الحسرة السياسية"، حيث يعتقد الكثير من السوريين بأن هذه الثورة كان يجب أن تقوم في زمن حافظ الأسد باعتباره أصل البلاء، وكان عليه بالتالي الاحتراق بنارها كنوع من الجزاء على الجرائم التي ارتكبها.

وفي هذا الصدد تحضرني "لعنة" طريفة قالها أمامي أحد الرجال الكبار في السن من أقاربي، فقد سمعتُه ذات مرة يقول عن شخص سبَّب له الكثير من الأذى من دون أن يتمكن من الانتقام منه: "الله يحرقوا بكل أجيالو" (الجيل: مصطلح ينتمي إلى قاموس الاعتقاد بالتقمُّص الذي يؤمن به الدروز، ومعنى الجيل هو العُمْر الواحد الذي يعيشه الإنسان في جسد واحد قبل أن تنتقل روحه إلى جسد جديد وبالتالي إلى جيل جديد). يومها سألتُ ذلك الرجل عن معنى هذه اللعنة "المتقمّصة"! فقال لي بأنه لا يشفي غليله أن يحترق هذا الرجل في جيل واحد بل يجب على النار أن تلاحق روحه في "كل أجيالها" وتحرقها في أي جسد حلّتْ فيه!

لو كان جميع السوريين يؤمنون بالتقمّص، فأنا على يقين من أنهم سيلعنون حافظ الأسد "بكل أجيالو."

هتاف

حازم صاغيّة - فيسبوك

يلعن روحك يا حافظ. هتاف يقشعر له البدن. إنّه أكثر هتافات الثورة السوريّة جذريّة، لا بمعنى برنامجيّ طبعاً لكنْ بما هو أكثر بكثير من ذلك فيه شيء من الأصول والجذور .من الاجتثاث والتكفير، فيه خروج من الواقع والتاريخ إلى الميتافيزيك، فيه طعم تراجيدي عميق وأثر إغريقي قديم، فيه نساء متشحات بالسواد ينبشن شعورهن وهن يصرخن كي تسمعهن الآلهة المختبئات في الكهوف، فيه ألحان جنائزية وشيء من باخ مخلوط بشيء من بيتهوفن بشيء من فاغنر بكثير من قرع طبول آت من بعيد، فيه غطسٌ في القبر سعياً وراء انتقام رمزيّ من روح شريرة، ثمّ عودة من ذاك القبر بعد أن تتطهّر الأرواح.



حين قالت لي معلّمتي: "حافظ الأسد كما الله لا يموت"



ضحى حسن

"عهدُنا أن نتصدّى للإمبريالية والصهيونية والرجعية وأن نسحق أداتهم المجرمة عصابة الإخوان المسلمين العميلة".

أمام المرآة رحتُ أُردّد هذه العبارة لأحفظها من دون أن أفكر بفحواها. هكذا طُلب منّا. ردّدتها طويلاً وأنا أقصّ "كنزتي" العسكرية ليبقى منها ياقة أرتديها تحت السترة العسكرية.

في صباح كل يوم كنت ألملم دفاتري السوفييتية التي استُبدِلت فيها صورة ستالين بصورة "قائد مسيرة التصحيح"، وأجمعُ بعض الكتب بما فيها كتاب القومية العربية المشبّعة بأقوال "القائد الرمز" حافظ الأسد، ولاحقاً بأقوال"السيد الرئيس الدكتور بشار الأسد"، وأتّجه إلى المدرسة.

هكذا نشأنا نحن تحت قبعة "البعث" بإشراف "الأب القائد"، مشاريعَ جنودٍ صغارٍ منذ عمر السنوات السبع. إذ من ذاك العمر كان واجباً علينا الإنتساب لمنظمة "طلائع البعث" مروراً بـ"شبيبة الثورة"، وصولاً إلى الحزب "العملاق".

الساعة السابعة صباحاً، في طابور المدرسة نصطف جميعنا بانتظام، نرتدي قبعات الزي الرسمي (السيدارة)، تكشف الطالبات المحجّبات عن شعورهن، فلا حجاب مسموحاً داخل المدارس. على خصورنا علّقنا "الحزام الزيتي" كالرجال (المعروف بإسم النطاق)، يتم التأكد من خلو ملامحنا من أي تبرّج عبر إمساك رموشنا وحفّها بين أصابع مدرّبة "العسكرية". في بعض الحالات تمسك المدربة برأس إحدانا وتضعه تحت الماء وتفرك الوجه بيديها الغليظتين، حتى تتأكد من أن لا شيء سيعكّر الوجه البعثي في الطابور المقدّس الذي تشرف عليه.

نأخذ الإيعاز، نرفع رؤوسنا باتجاه العلم السوري المرفرف على حافة الحائط الحجري الجاف مستعدّين للأوامر العسكرية، وأمامنا يقف أساتذتنا بزيّهم المدني، ثم يصدح النشيد الوطني.

المناسبات الوطنية، ما أكثرها في ظل انتصارات الأسد العديدة: ميلاد الحزب، ذكرى الحركة التصحيحية المجيدة، وحرب تشرين التي انتصرت فيها إرادة "الجيش السوري على العدو الغاشم"، بحسب أقوال "الرئيس الخالد حافظ الأسد" التي غزت جدران المدرسة كلها والتي تترافق مع رسومات تصور "قواتنا الباسلة".

وكنا نحن نستعد لهذه المناسبات، كما اعتادت ان تتحضر لها كل الدوائر والمؤسسات الحكومية والخاصة، وكان يسبق هذا اليوم المجيد عطلة للتحضير للرقصات والعروض المسرحية والهتافات والأناشيد التي تمجد القائد وتبجّل القائد وتحتفي بالقائد. وكنّا نقف جميعنا "رعايا الأسد" مستعدين، ويبدأ الأطفال مرتدين زيّ الطلائع بالغناء أمام صورة الرئيس: "للبعث يا طلائع، للنصر يا طلائع، أقدامنا حقول، طريقنا مصانع، وتلمع الرايات في مواكب الطلائع، يا راية الحرية يا شعلة القضية..."، وهكذا يتحول الطفل إلى عسكري، ويبدأ بتعلّم أن يكون جزءاً من القطيع، والتبعية الخالصة للقوة الأكبر، ويعتاد على ترداد ما يقال له.

ويهجم "أشبال الأسد" شبيبة الثورة، برقصة عسكرية على وقع أنغام نشيد "تسلم للشعب يا حافظ، أمل الملايين يا حافظ، علّيت الراية يا حافظ ..."، فيما يجهّز رجال "حزب البعث" من طلبة الثانوية عرضهم المسرحي في محاولة لإعادة تمثيل منجزات وانتصارات الحزب بقيادة الأسد. وتختتم الاحتفالات ويشبع النظام غريزته في السلطة برؤية الجيل الجديد خاضعاً له.

أنت كسوري مراهق مُجبَر على الانتساب لشبيبة الثورة ومن ثم حزب البعث، خيارك فيهما أن تنتسب أو أن تنتسب. أما أن تكون مراهقاً كردياً سورياً، فعليك أنت غير العربي أن تقول، على نحو ما حصل مع زميلتي: "أمّة عربية واحدة ذات رسالة خالدة"، فهذه مفارقة لا تعنيهم. عليك أن تقول ذلك، حتى لو لم تكن مؤمناً به. قلْه وغادر إلى منزلك ونم.

لأول مرة تشعر بأن لسانك تخدر، وأن أطرافك بدأت ترتجف، وهنا تتعلم الانصياع لأوامر النظام وتشعر بالخوف للمرة الأولى على نفسك وعلى أسرتك، تتعلم الصمت تحت قسم الانتساب وفق الفساد الدستوري للمدرسة والقائمين عليها، فيما يتعلم الطلبة في بلاد أخرى كيفية التعامل مع مرحلة البلوغ.

10 حزيران 2000 مات حافظ الأسد، وكان موته معجزة سماوية، كنّا نظن أن الديكتاتور "الأب" لا يموت، فتمجيده اليومي أثناء تعلّمي للنطق، جعل موته عصياً حتى على الآلهة.

حينما استلم بشار الرئاسة دخلتُ إلى المدرسة بعد عطلة صيفية توزّعت بين الحزن على موت "الخالد"، والتهليل بتعيين الابن، كنا مرتبكين حول ما سنردّده من شعارات، وإذ بها لم تختلف إلا بإضافة كلمة خالد ملازمة لإسمه، بقي قائدنا إلى الأبد الأمين (الخالد) حافظ الأسد، و"استرح"...

دخل الجميع إلى صفوفهم، دفعني فضولي المراهق إلى الركض نحو المديرة. أخذتُ نفساً عميقاً ووضعت رأسي في الأرض (بحسب العادة) وقلت لها: "بما إنو حافظ مات واستلم بشار، ليش ما بنقول قائدنا إلى الأبد الأمين بشار الأسد"، أمسكتني من شعري في حينها وأدخلتني الى مكتبها وأغلقت الباب، وقالت بصوت خافت: "الرئيس حافظ الأسد ما بيموت، متل الله".

فتحَت الباب، وضعَت يدها الثقيلة على كتفي الصغير، نادت مدربة "العسكرية" وقالت لها: "نزّليها لتحت خلّيها تزحف كل الساحة، وبعدين توقف على رجل وحدة طول النهار". لم تسألها عن السبب ولم يكن يحق لي الاعتراض آنذاك.

ذاك اليوم أصابني إرهاق قوي بما يريدونني أن أكون، مراهقة تمارس بعثهم بكل استسلام، إلى أن تم تسريحي من المدرسة بعد الثانوية، وبدأتُ مرحلة أخرى أركل فيها كل ما في داخلي من نظامهم، بحذر.. عبر غزة ومصر وليبيا، إلى أن أتت اللحظة لأفجّر كما فعل الكثيرون الخوف من الأب الخالد والابن، ومن نظام المخابرات الذي ألصق نفسه على نضوجي، وكانت الولادة الحقيقية والبلوغ الطبيعي لأجيال عدّة تربّت كالعسكر الخاضع لتخدم الأسد، بأن تلعن روحه وتثور ضده وضد 40 عاماً من تاريخهم معه.

الساعة الواحدة ظهراً في أحد أيام آذار 2012 خرجَت 3 فتيات في وسط دمشق، حملن لافتات الحرية، وتوجّهن نحو المدرسة التي تلقّين فيها تعليمهن. وقفن أمامها، على رغم وجود رجال الشرطة وعناصر الأمن في كل ثقوب الشارع. على مرأى من كل العابرين، رفعن لافتاتهن في وجه 18 عاماً.
لقد نفّذت هؤلاء الفتيات الثلاث ثورتهن الخاصة في وجه النظام وانتقمن لطفولة دمّرها نظام"البعث".
صحيح أن لكل سببه كي ينخرط في الثورة على النظام، لكن كل السوريين تعرضوا لتشويه واحد في مدارس "البعث" العسكرية.

* الكاتبة فازت بجائزة سمير قصير لحرية الصحافة

نقلاً عن موقع "ناو لبانون"

حسين عباس: تحولات الشباب السوري نحو الموت

ياسر أبو هلالة

انتهت حياة الإعلامي السوري حسين عباس بصاروخ كورنيت في ظل المعارك المحتدمة في الرحيبة. "نهاية رجل شجاع" بأكثر الصواريخ فتكا بالدروع، قد تكون ميزة له في ظل تعدد طرق الموت في سورية من البراميل إلى الموت جوعا.

تحلى قبل وبعد عمله منتجا ميدانيا في قناة الجزيرة بشجاعة استثنائية في تظاهرات الضمير كان ممن تجرؤوا بالهاتف مبكرا ضد رمز العائلة الحاكمة في دمشق، إذ أطلق هتاف "يلعن روحك يا حافظ" ردا على الصنمية والقداسة التي تحيط بالطاغية الأب.

عندما قابلته أول مرة في عمان في بداية الثورة السورية لم أكن أتوقع هذه النهاية. عرّفني عليه الصحفي اليساري جهاد الرنتيسي وقال إن عنده شابين من طرف الكاتب اليساري فايز سارة، وهما حسين عباس والمحامي محمد عيسى الناطق باسم المحامين الأحرار. حضر الشابان باعتبارهما من لجان التنسيق وهي أقرب للتيارات اليسارية والعلمانية مقابل هيئة التنسيق الأقرب الى الإسلاميين. لم ألحظ عليهما تعصبا حزبيا أو مناطقيا أو طائفيا، كانا يجسدان الثورة السورية في مرحلة البراءة والنقاء.

حين يزور حافظ الأسد ذاكرتي

دلير يوسف

صعدنا أنا وإخوتي إلى البيت، أحدهم في السادسة والآخر يكبرني بأربع سنوات، لا أذكر أين كان رابعنا وأكبرنا، كانت أمي قد تلقت اتصالاً هاتفياً من والدي الطبيب في مدينة الحسكة يخبرها بأنّ حافظ الأسد قد مات، وهو يضحك، وهي تُجلسنا في المنزل "لأننا لا نعرف ما سيحدث".

هذا أول ما أذكره، حين أستعيد بذاكرتي صورة حافظ الأسد، التلفاز في البيت لا يعرض شيئاً سوى القرآن، أحاديث عن رفعت وبشار الأسد أيهما سيرث الحكم، يخرجوننا من المدرسة في مسيرات لنهتف بالروح بالدم نفديك يا حافظ، ومن ثم بالروح بالدم نفديك يا بشار، أذكر كذلك بأنّني مُنعت من أن أشتم أخي "بشار" بصوت مرتفع في الشارع، خوفاً من أن تسمعني المخابرات، فأُدخل أهلي في متاهات جديدة هم بغِنى عنها.

ظل صوت حافظ الأسد وصورته يلاحقانني حتى عام 2004 حين رأيت تمثالاً له في مدينة عامودا يداس بالأقدام، وذلك خلال الانتفاضة الكُردية آنذاك. رحل جزئياً، لكنه بقي ملازماً لذاكرتي، إلى أن بدأت الثورة السورية في مارس/آذار 2011، كان كل تمثال يُحطم يشعرني بأنّ ذاك المكان البشع في ذاكرتي يموت، كل صورة مُزقت أحسست بأنّني من مزقها، كل هتاف كان يشتمه كان صوتي، كان هتاف "يلعن روحك يا حافظ" هتافي المفضل، وسيظل، لِما كان لحافظ من سطوة علينا نحن المتعبين في حياتنا، نحن المحرومين من كلّ شيء منعه عنا لغاياته الدكتاتورية.

وتبقى الحسرة الوحيدة في قلبي أنّ هذه الثورة لم تكن على زمن الديكتاتور الأعظم حافظ الأسد ولم يرَ هذا المجرم كيف استطعنا كسر جدار خوف بناه بيديه حجراً حجراً، لقد حطمناه بصرخة واحدة.

هيه أنت، حافظ الأسد، لقد دمرنا مملكة الخوف والموت التي بنيتها لقد دمرنا ذاكرة بشعة أورثتنا إياها، فلتتألم في قبرك، وأنت ترى ما بنيته يُحطم من جذوره، وأنت ترى ابنك المغفل يبيع خرابك لاحتلال جديد؛ لأنّه لا يستطيع إخماد صوتنا.

يا حافظ الأسد لقد فشلت في بناء مملكة خالدة، وفشلت في منح الحياة ذرية قوية قادرة على قيادة مملكتك، فلتتألم في قبرك، فلتتألم.

نهاية حكم العائلة وتماثيلها في سورية – مانيا الخطيب

تأخرت ثورة الشعب السوري على هذه الغطرسة المجنونة ليس بسبب قلة الشجاعة، فشجاعة الشعب السوري أسطورية ها هي تتأكد اليوم في كل مكان بالصدور العارية التي تواجه الرصاص، وليس لنقص في الذكاء فهو شعب سليل إبداع من آلاف السنين .. وجاء منه ذلك العبقري الذي ودعه العالم مؤخراً « سمير عبدالفتاح الجندلي » أو ستيف جوبز، مبدع آبل.

لقد تأخر في ثورتهلأنه شعب وطني إلى أبعد الحدود، فهو من جهة كان يدرك أن الطغمة الإجرامية المتحكمة لن تتورّع في سبيل الاحتفاظ بالسلطة عن تمزيق أجمل ما يميز سورية، أي النسيج السكاني الثقافي المتنوع، عبر إثارة الفتن والنعرات الدينية والمذهبية والعرقية بين الناس. كان هذا الشعب يدرك هذه الحقيقة ويحتاط لها.
أما السبب الآخر فهو أن حافظ الأسد، ونظامه المستمر حتى هذه اللحظة باسم ابنه، لطالما استعمل شماعة « إسرائيل » للحفاظ على حكمه، مع أنه في حقيقة الأمر يخدمها، وكان يخدمها منذ بدايته.

فطرية الشعب السوري جعلته يستوعب أن حاكماً مهووساً، مثل الأسد، لا بد وأن يبيد شعباً كاملاً بهذه الذريعة ليبقى في الحكم.

وهكذا .. إلى أن اندلعت الانتفاضة فعلاً. ....هنا وقعت مطرقة ثقيلة على رؤوس العائلة. كيف لهم أن يتصوّروا .. بعدما سرحوا ومرحوا، وعبثوا وشالوا وحطّوا على كيف كيفهم بالبلد أن يأتي مخلوق في هذا الكون ليزيحهم من مكانهم، الذي صور لهم الوهم أنه أبدي؟

كيف يمكن لهؤلاء بعدما كانت الفرائص ترتعد خوفاً منهم أن يمزق الناس صور الأب والأبن ويدوسوا عليها ، ثم لا يكتفون بذلك، بل يحطمون التماثيل الصنمية البغيضة التي كانت تربض كالكابوس على صدر سورية التي يجب أن تزخر بعد اليوم بتماثيل مبدعيها وليس طغاتها.... اليوم السلطة نفسها بدأت تزيل التماثيل من الساحات لئلا يدوسها الناس ويتبولوا عليها.

كيف يمكن لهؤلاء أن يتخيّلوا هذه « الأعجوبة »؟ كيف يمكن أن يمرّ بأذهانهم أن ثروات اقتصاد سورية ومداخيل بيع نفطها ستذهب إلى خزينة الدولة لبناء مؤسساتها وتطوير خدمات تفيد مواطنيها .. بعدما ظلت لعقود تنتهي في جيوبهم؟

بعض المجازر الفظيعة التي حصلت في حمص كانت بسبب سخرية أهل حمص الظريفة من الأسد، ومنها على سبيل المثال شعارات وهتافات من نوع « يا بشار اسماع القصة .. أنت حمار وبدك فصة »، أو كتابتهم على الحمار بالدهان « أنا بشار الأسد » وعلى حمار آخر « هذا أخي ماهر ». سخرية من هذا النوع أطارت صوابهم وأفقدتهم عقولهم.

وماذا عن حصار درعا؟ كله كان بسبب أن علاقة النظام مع أهل حوران الأبطال لا توازيها علقة. لقد كسر أهل حوران تماثيل « الأب »! هل هناك مبرّر أعظم من هذا المبرّر لولد دموي مثل ماهر لأن يرسل جيشاً جرّاراً يفرغ حممه وسموم حقده على المدينة وأهلها وأطفالها.

أم ماذا عن الصرخة التي وقعت على رأس العائلة صاروخاً قاتلاً.... خرجت من أعماق الشعب مدوية « يلعن روحك يا حافظ »

هذه فقط بالنسبة للسيدة مخلوف وأولادها، نيران محمومة تزلزل الأرض من تحت أقدامهم .... أعمت الغطرسة عيونهم عن حتمية قدوم هذه اللحظة.

صاحب فكرة ساعة " يلعن روحك يا حافظ" في إدلب يتحدث لأورينت نت: إنه أساس البلاء!



لم تكن الثورة في يوم من الأيام مظاهرات سلمية أو مظاهر مسلحة فحسب، بل تعدت ذلك لتشمل الفن والثقافة والسياسة والفكرة الهجائية الطريفة أيضاً؛ فكلٌ يعبر عن ثورته بما لديه من أمكانيات وبما يحمله من قدرة على التعبير، وترسيخ حلم التغيير في الوجدان والنفوس .

وفي الثورة السورية تتجلى أنواع وطرق المطالبة بإسقاط نظام أسد الطائفي الذي أبدع نوعا جديدا من الدكتاتورية الوحشية المسعورة طائفيا، فأطبق بها على رقاب السوريين وأحلامهم .

وفي إدلب، التي تمثل اليوم بنسيجها الأهلي لا بمن يحكمها، شوكة في حلق نظام الإبادة الطائفي.. تبدو روح الثورة متقدة، وساعتها لا تتوقف وهي تلعن على مدار اليوم والساعة والدقيقة مؤسس جمهورية الخوف والاختفاء القسري والوحشية المخابراتية: حافظ الأسد!

إبراهيم الزير: ساعة اللعن في ساحة اللعنات !

ومع اتساع رقعة الثورة السورية وازدياد أعداد المتظاهرين، كان لمدينة إدلب المنسية وقع ملحوظ من خلال مظاهراتها الحاشدة والتي كانت تتجمع في ساحة الساعة بشكل خاص وأساسي كونها ساحة قديمة تتوسط المدينة، يجتمع فيها الشباب من أبناء المدينة وريفها ويطلقون هتافاتهم وأفكارهم وطرقهم المبتكرة بعضها القوي الثوري وبعضها الطريف المعبر، ولعل أبرز تلك الطرق والأفكار هي ساعة "اللعن" والتي حدثنا عنها (إبراهيم الزير) صاحب الفكرة قائلاً: "كنا نجتمع كشباب ثائر في ساحة الساعة وسط إدلب بأعداد كبيرة جداً وأصبحت ساحة الساعة عنواناً لمظاهرات إدلب، بل وأصبح الاجتماع فيها تلقائياً عند ذكر أي يوم للتظاهر، وبات يطلق عليها اسم

ساحة اللعنات نتيجةً لتكرار شعار "يلعن روحك ياحافظ" فيها وكانت توضع فيها لافته باسم جمعة التظاهر بشكل دوري، وبعد توقف الساعة عن العمل نتيجة للخلل الفني أحببنا أن نترك بصمة ثورية طريفة عليها تكون حكراً لأهل إدلب، فكانت الفكرة وضع مجسم صغير لساعة بعبارت ثورية عليها ولكن بسبب ضعف الإمكانيات آنذاك، تم الاقتصار على مجسم لوحة دائرية مصممة بشكل ساعة مكتوب عليها "بكل ثانية يلعن روحك ياحافظ "وذلك في عام 2016 من عمر الثورة السورية المباركة."
نعم.. يلعن روحك يا حافظ!

ومع استمرار وتيرة القصف والتهجير من قبل ميليشيا أسد بحق المدنين العزل من جميع المحافظات السورية، وغلبة المظهر الدامي على الصورة العامة للثورة السورية، كان لابد من معايشة تفاصيل المرحلة بعض الشيء وربط صورة ترفيهية خارج الصندوق بطرق تشجيعية على الاستمرار بالحراك الثوري، وذلك بحسب (إبراهيم الزير) الذي أضاف "الغاية من ساعة اللعن الصغيرة هي تذكير الناس أن المسؤول عن المجازر والسلبيات للشعب السوري هو "حافظ الأسد الملعون "بالأساس الذي اغتصب الحكم وأورثه لابنه السفاح بشار وإنها عائلة إجرام متسلسلة تعاقبت على قتل وإذلال السوريين منذ عشرات السنين، وبمجرد ما يقرأ اللعنة أي شخص يقول مباشرةً "نعم يلعن روحك ياحافظ إنه أساس البلاء."

بصمات بأفكار طريفة

إلى جانب "ساحة اللعن" ثمة العديد من الأفكار الثورية الطريفة كانت ولا تزال تطالعنا في كل مظاهرة أو تحشد من شباب الثورة الثائر وبعضها في مدينة إدلب يقوم عليها إبراهيم وزملاؤه الناشطون الثوريون كتوزيع الصندويش وصور النقود المطبوعة مثل 500 ليرة سورية و100 دولار أمريكي كرسائل تجردية للاستهزاء ولكشف كذب النظام وقنواته ودحض ادعاءاته بتعاطي المتظاهرين مقابل ومحفزات للخروج ضده، ليترك الشباب السوري الثائر في أحلك أوقات الألم فسحة للابتسامة، وبصمة إيجابية ولمسة خاصة في كل مظاهرة ومحفل ينادي بإسقاط النظام ويسعى لصون الكرامة ونيل الحرية المسلوبة.

محلّ "يلعن روحك يا حافظ" في برلين!



منذ بداية الثورة، أسهم السوريون المغتربون في دعم الحراك الثوريّ. وكانت هذه المساهمات تأخذ أشكالاً معروفة، كالدعم الماديّ والمساعدات العينية وغيرها .لكن في شارع (زونن آلي)، ذي الغالبية العربية في برلين؛ اختار أحد أصحاب المحلات التجارية من السوريين طريقةً "غريبةً" في دعم الثورة وإعلان موقفه المعارض لنظام الأسد.

(فقط في سوريا: ابن المهندس بصير مهندس وابن الأستاذ بصير أستاذ وابن الكلب بصير رئيس)، (يلعن روحك يا حافظ...)، بمثل هذه العبارات -وما لا يسعنا نشره- تمتلئ واجهة محل (الشرق)، التي تحوّلت إلى منبرٍ لشتم الأسد ومؤيديه. وليصبح المحلّ نقطة علامٍ للسوريين في المدينة، ومكاناً مكروهاً لمؤيدي النظام القلائل من العرب والسوريين في المنطقة. يشرح صاحب المحل، لطفي الحبال، ابن مدينة دمشق، الأسباب التي دفعته إلى التعبير عن بغضه للنظام بهذه الطريقة فيقول: "غادرت سوريا صغيراً، منذ 29 عاماً. وافتتحت محلي قبل 12 سنة. وكنت، كمعظم السوريين، أذهب إلى سوريا للزيارة قبل الثورة، وألاحظ فساد النظام وما فعله بالبلد وبالناس.

لكن، مع بداية الثورة وما رأيناه من إجرام الأسد وأتباعه؛ انكسر جدار الخوف لدى السوريين، فوجدت أنّ من الضروريّ أن أعلن عن موقفي ضدّ هذا النظام ومؤيديه، أسوةً بالثوّار في الداخل ودعماً لهم. فاخترت واجهة محلي لألفت نظر المارّة في الشارع، خصوصاً وأنّ غالبية سكان المنطقة من العرب، وبدأت بلصق الجمل والشعارات التي تعجبني والتي رأيتها تعبّر عن شعوري تجاه النظام".

ولدى سؤاله عما إذا كانت هذه الشعارات سليطةً ومهينةً للأسد وأتباعه، وتؤثر على عمل المحل أو تستفزّ بعض الجيران والزبائن، يقول: "أولاً، الرزق على الله. ثانياً، أرى أن هذه العبارات والرسوم عاديةٌ جداً. والهدف منها كسر شوكة هذا النظام الذي داس الشعب السوريّ على تماثيله منذ يوم الثورة الأوّل. وفيما يخصّ مؤيدي النظام؛ فلا شك في أنها تستفزّهم، فيأتي بعضهم بحجّة الشراء لكي يدافعوا عن سيدهم ويقولوا إنّ بشار جيد، وإن الثورة خربت البلد، وإنّ التعليم والطبابة كانتا مجانيتين، وإلى ما هنالك من كلامٍ فارغ - علماً أن معظمهم من اللبنانيين الذين يعيشون هنا في ألمانيا بحرّية - فأقوم بطردهم. وفي إحدى المرّات أتى أحد الأشخاص ليقول إنّ عبارة "يلعن روحك يا حافظ"، التي وضعتها في صدر المحل، حرام، فقلت له إنّ الحرام هو الصمت عما يرتكبه النظام بحق أهلنا في سوريا. لكن، بالمقابل، يأتي الكثير من الزبائن الذين يبدون مساندتهم ودعمهم. حتى أنني ما زلت أحتفظ بقصاصةٍ ورقيةٍ وجدتها معلّقةً على باب المحلّ في الصباح وقد كتب عليها (روح ...الله محيّي أصلك)".

يقصد المحلّ الكثير من الزبائن، وغالبيتهم من العرب، لشراء الأراكيل والعطور وسيديات الموسيقى والأفلام، إلى جانب مشغولات علم الثورة اليدوية .وفي تعليقه على هذه العبارات يقول محمود، وهو لاجئٌ سوريٌّ في برلين، وأحد زبائن المحلّ: "عندما أتيت لأوّل مرّةٍ إلى هذا الشارع لفتت واجهة المحلّ انتباهي، وضحكت كثيراً فهي طريفة. وأعجبتني صورةٌ رأيتها سابقاً على الفيسبوك لمقارنة الشبه بين بشار وصلاح جديد، أحد قيادي البعث. لكني لم أكن أتصوّر أن أراها معلّقةً على واجهة محلّ، وخصوصاً في برلين، فقرّرت الدخول وشراء أيّ شيءٍ من المحلّ دون أن أعرف حتى ماذا يبيع."

تنتشر على ضفتي شارع (زونان آلي) الكثير من المحالّ العربية التي لا تخفي هويتها وأسماءها، كمقهى أم كلثوم، وفروج المدينة، وسفريات الحنان، ومؤسسة طه وياسين الإسلامية لدفن الموتى، بالإضافة إلى عشرات المحالّ والمهن على طول الشارع الحيويّ الممتدّ لكيلومترات. ويُعرض معظم أصحاب المحلات عن إعلان مواقفهم السياسية، حفاظاً على الزبائن، فيما يستنكر لطفي الحبال هذا ويقول: "ربما يخافون، هم أحرار. أنا من جهتي سأستمرّ بقول رأيي السياسيّ ووضع ما أشاء حتى بعد سقوط نظام الأسد".



رأي فينيق ترجمة في هتاف "يلعن روحك يا حافظ"

في حالة التعامل مع عبارة "يلعن روحك يا حافظ" كالتعامل مع أيّة عبارة، أي من خلال تفاعل مُباشر شكليّ سريع، قد تبدو عبارة مستفزة تهجمية مُسيئة شتائمية لعنية ....الخ.

بل ظهرت إدانات لهذه العبارة من أشخاص يعتبرون أنفسهم بصف الثورة السورية حتّى! تحت تبريرات متنوعة يُظللها الدين، في غالب الأحيان، ومنظومة الحلال والحرام المثيرة للغثيان!

دون نسيان أن هذه العبارة، بالنهاية، هي هتاف ثوري وليست عبارة للمُداهنة والمُجاملات اللطيفة والنفاق والتملُّق!

لكن، بالتفكير بهذه العبارة مليّاً، وتستحق هذا التفكير، فنحن مُجبرون على محاولة فهم:

ماذا يوجد وراء هذه العبارة أو هذا الهتاف؟

بدايةً، هو الهُتاف الأذكى؛ ويمكن الجزم بأن مُطلِق أو مُطلِقة هذا الهتاف من أذكى الأشخاص وأسرعهم بديهة!

فقد اعتبر ماهر شرف الدين في مقالته القصيرة "المضمون السياسي لشعار يلعن روحك يا حافظ" بأننا لا نعرف إسم المواطن أو المواطنة الذي أو التي أطلق(ت) هذا الشعار – الهتاف. لكن، دون، هم من المشاركين في الاحتجاجات العارمة المُنتفضة التي ملأت مدن سورية العام 2011.

وربما يحمل مقال "قصّة (يلعن روحك يا حافظ)" للسيّد إياس غالب الرشيد الإجابة حول مُطلِق أوّل مُحتمَل للهتاف، حيث يؤكد بأنه محب للتوثيق وبحث كثيراً في كل ما نُشِرَ ببداية الثورة من مواد صوتية صورية ذُكِرَ فيها هذا الهتاف، وتابع تحرياته إلى أن وصل إلى الشخص المقصود وهو مُسنّ جولاني ويمكن الإطلاع على كامل القصّة هنا.

ربما، قد حصل إطلاق متزامن للهتاف بأكثر من منطقة سوريّة وبأوقات متفاوتة قبل أن ينتشر ويلقى كل هذا القبول الهائل رغم كل محاولات شيطنة هذا الهتاف من الشبّيحة ومن أشباههم حتى اللحظة.

في الإجابة عن سؤال خلفية العبارة، من الضروري الإهتمام بهتاف أُجبِرَ ملايين السوريين على ترديده على مدار عقود، ألا وهو:

بالروح بالدم نفديك يا ....

إنّ هتاف يلعن روحك يا حافظ هو ردّ مُباشر وبالصميم على هذا الهتاف الإرهابيّ!

إنّ هتاف "بالروح بالدم" يكفي لإدانة المُجرم حافظ الأسد ومحاكمة حقبته المستمرة حتى الآن!

لو حضرت ذرّة وطنيّة أو أخلاق لدى هذا المُجرم، لوجب عليه تحويل الهتاف إلى:

بالروح بالدم نفديكي يا سوريّة!
بالروح بالدم نفديك يا وطن!
بالروح بالدم نفديكي يا مقاومة!
بالروح بالدم نفديكي يا فلسطين!

بالروح بالدم نفديكي يا عروبة!

لكن، ثمن كل تلك الأشياء بالنسبة لهذا الأفّاق قشّة!

لا تعني له شيء!

لقد ألغى كل شيء وأقام "مملكته الإرهابية الساقطة من لحظة تسميتها سورية الأسد!"!

لا حاجة للتحليل النفسيّ لشخصيته ولمسلكيته .. يكفي التمعُّن بهذا الهتاف المنحط!

قال أحد المواطنين السوريين المتواجدين في اللاذقية، الآن، لفينيق ترجمة:

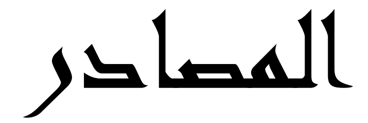
حين كنت صغيراً، أخذونا إلى معسكر طلائع البعث، وبأول يوم، أحسستُ بشيء غريب لم أتمكن من قبوله أو هضمه، بعدما سمعت عبارة: بالروح بالدم نفديك يا .... فهربت من المعكسر وعدت إلى المنزل مشياً على القدمين لمسافة عشرة كيلومترات تقريباً!

وعلى إعتبار أنني وقتها لم أكن بعمر يسمح لي بالتعبير أو الفهم أو الوعي، كما هو وضعي الآن، وبعد مرور عقود، ببساطة، أقول لك بأنني أحسستً هتاف "بالروح بالدم" أقرب إلى "نهيق"!

لقد تحمل السوريُّون ما لا قدرة للجبال على حمله من هذا المُجرم ... لكن، انفجر بركان غضبهم بثورتهم السلمية وبدؤوا بتلقين هذا الأفّاق الدروس، وأولها:

هتاف: يلعن روحك يا حافظ!

لقد فدا السوريّون، وما يزالون، بأرواحهم ودمائهم الزكيّة الحُريّة!



https://arabiansforum.net/archives/5127

https://orient-news.net/ar/news_show/2749

https://sbhmagazine.wordpress.com/2012/02/09/%D9%86%D9%87%D9%81%D8%A7%D8%AA-%D9%8C%D9%85%D9%80%D9%86-%D8%B1%D8%AD%D9%80%D9%85-/%D8%A7%D9%84%D9%80%D8%AB%D9%80%D9%88%D8%B1%D8%A9

https://www.alaraby.co.uk/%D9%85%D9%84%D8%A7%D9%85%D8%AD-%D9%85%D9%86-%D8%AB%D9%88%D8%B1%D8%AA%D9%86%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%B6%D8%A7%D8%AD%D9%83%D8%A9

https://outsidecontextsy.wordpress.com/2012/09/03/%D9%81%D9%8A-%D8%AF%D9%84%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AA-%D9%8A%D9%84%D8%B9%D9%86-%D8%B1%D9%88%D8%AD%D9%83-/%D9%8A%D8%A7-%D8%AD%D8%A7%D9%81%D8%B8

https://hibrpress.com/%D9%8A%D9%84%D8%B9%D9%86-%D8%B1%D9%88%D8%AD%D9%83-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%84-/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D9%8A

https://mhamadabisamra.wordpress.com/category/%D9%85%D9%88%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%A8%D8%AF-/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A

https://www.enabbaladi.net/archives/505065#ixzz7HhuWAR4Q

https://www.aljumhuriya.net/ar/content/%D9%85%D9%82%D8%AF%D9%85%D8%A7%D8%AA-%D8%AD%D8%B5%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B1%D8%AB

https://www.alsouria.net/archive/content/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%86%D8%AA%D9%81%D8%A7%D8%B6%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D8%AE%D8%A7%D8%B1%D8%AC-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D9%82-

%D8%AF%D8%A7%D8%AE%D9%84-
%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE

/https://ar-ar.facebook.com/Syrian.Revolution/posts/10153261958405727

https://syrianchange.wordpress.com/2012/09/20/%D9%82%D8%B5%D8%A9-
%D9%8A%D9%84%D8%B9%D9%86-%D8%B1%D9%88%D8%AD%D9%83-
%D9%8A%D8%A7-%D8%AD%D8%A7%D9%81%D8%B8-
%D8%A8%D9%82%D9%84%D9%85-%D8%A5%D9%8A%D8%A7%D8%B3-
/%D8%BA%D8%A7%D9%84%D8%A8-%D8%A7

https://alghad.com/%D8%AD%D8%B3%D9%8A%D9%86-
%D8%B9%D8%A8%D8%A7%D8%B3-
%D8%AA%D8%AD%D9%88%D9%84%D8%A7%D8%AA-
%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%A8%D8%A7%D8%A8-
%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A-
/%D9%86%D8%AD%D9%88-%D8%A7%D9%84%D9%85

https://arabicpost.net/opinions/2018/04/09/%d8%ad%d9%8a%d9%86-
%d9%8a%d8%b2%d9%88%d8%b1-%d8%ad%d8%a7%d9%81%d8%b8-
%d8%a7%d9%84%d8%a3%d8%b3%d8%af-
/%d8%b0%d8%a7%d9%83%d8%b1%d8%aa%d9%8a

https://souriahouria.com/%D9%86%D9%87%D8%A7%D9%8A%D8%A9-
%D8%AD%D9%83%D9%85-
%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D8%A6%D9%84%D8%A9-
%D9%88%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%AB%D9%8A%D9%84%D9%87%
D8%A7-%D9%81%D9%8A-%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A9-
/%D9%85

https://orient-
news.net/ar/news_show/191642/0/%D8%B5%D8%A7%D8%AD%D8%A8-
%D9%81%D9%83%D8%B1%D8%A9-%D8%B3%D8%A7%D8%B9%D8%A9-
%D9%8A%D9%84%D8%B9%D9%86-%D8%B1%D9%88%D8%AD%D9%83-
%D9%8A%D8%A7-%D8%AD%D8%A7%D9%81%D8%B8-%D9%81%D9%8A-
%D8%A5%D8%AF%D9%84%D8%A8-
%D9%8A%D8%AA%D8%AD%D8%AF%D8%AB-
%D9%84%D8%A3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D9%86%D8%AA-
%D9%86%D8%AA-%D8%A5%D9%86%D9%87-
%D8%A3%D8%B3%D8%A7%D8%B3-
%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%84%D8%A7%D8%A1

https://ayn-
almadina.com/details/%D9%85%D8%AD%D9%84%D9%91%20%22%D9%8A
%D9%84%D8%B9%D9%86%20%D8%B1%D9%88%D8%AD%D9%83%20%D

9%8A%D8%A7%20%D8%AD%D8%A7%D9%81%D8%B8%22%20%D9%81%D9%8A%20%D8%A8%D8%B1%D9%84%D9%8A%D9%86!/1924/ar